تلخيص كتاب عبقرية عمر

عباس محمود العقاد

إعداد / محمد عطيتو

بطاقة الكتاب :

اسم الكتاب	عبقرية عمر
المؤلف	عباس محمود العقاد
دار	نهضة مصر
عدد الصفحات	210
تلخيص	محمد عطيتو

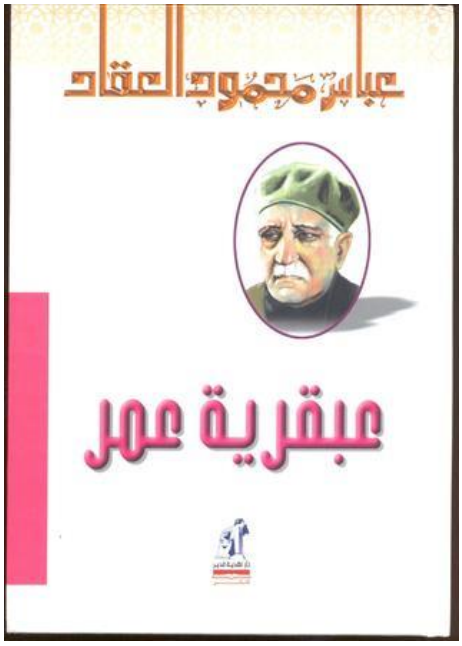

لماذا نتناول حياة الفاروق رضى الله عنه ؟

إن غرضنا من استعراض كتاب عبقرية عمر للعقاد ليس التأريخ للحوادث والأنباء ، فنحن نعى قول ربنا (**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) ، ولكن غرضنا يتمحور حول أمور ثلاثة :

1) دراسة ثمار الإسلام وثمار رسوله صلوات الله وسلامه عليه ممثلة فى هؤلاء التلاميذ الأوائل الذين التفوا حوله واقتبسوا منه وساروا على نهجه لنرى أنها خير ثمار ، وأن هؤلاء الصحابة طراز فريد بين بنى آدم ، وهم حقاً خير الناس بعد الأنبياء ، وأن الدين الذى ينتج منهجه مثل هؤلاء لهو دين حق مرضى عند الله ، وحرى بالناس أن يدخلوا فيه أفواجا ، ولولا الإسلام لما سمع أحد بعمر ولا بالصحابة ولا بالعرب ولا بالجزيرة العربية كلها .

2) وحيث أن الثمرة طيبة شهية فغرضنا الثانى هو دراسة كيف ساس الخلفاء الراشدون هذه الدولة الإسلامية العظيمة بمنهج الإسلام ، وكيف تعاملوا مع التجارب التى واجهتهم حتى قبل خلافتهم ؛ لنستضىء بمنهجهم فى سياسة دولنا الإسلامية ، ولنصل بها فى زمننا إلى حيث أوصلوها هم فى زمنهم منارة للعالم وناشرة للإسلام والخير والحق والعدل .
3) لا مانع بعد ذلك أن نُعرج على الصفات الإنسانية الفريدة والخصائص الذاتية للفاروق رضوان الله عليه ، وسنرى كيف أن هذه الصفات التى قد يشترك فيها عمر مع غيره قد هذبها الإسلام وأبرزها وبلورها وجعلها تبدو على الصورة التى ظهرت بها ، فهى قد اصطبغت بصبغة إسلامية ، وظهرت علينا فى ثوب إيمانى ، ولم لا ، وهى صفات إنسان كانت صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين .

بهذا تكون دراسة شخصية عمر رضى الله عنه ملهمة لنا ومحفزة على فعل الخيرات ونسأل الله أن نُحشر معه ومع حزبه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وصدق الله إذ يقول : (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**)

شخصية الفاروق رضى الله عنه وصفاته ..

أولاً : قوة إيمان هائلة ..

كانت قوة إيمان الفاروق هى المسيطر الأكبر على كل خلق من أخلاقه ، وعلى شخصيته عموماً ، وإن إيمان عمر الوثيق هو الضابط المسيطر على شعوره الزاخر العميق .. وتكون المحصلة النهائية لهذه التركيبة : **استقامة تامة على المنهاج الإلهى ، وعدم الذهاب مع الأهواء** ، بل وأكثر من ذلك امتزاج القوتين : قوة الشعور مع قوة الإيمان ، فتنتج لنا شخصية عمر الذى يخاف منه الشيطان !!

وإذا أردت أن تعرف شعور عمر القوى ، وانقياده للإيمان القوى أيضاً ، فانظر إلى موقفه يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، كيف كان ، وكيف توعد من يزعم أن النبى مات ، ثم كيف كان حاله لما سمع أبى بكر .. هنا ينقاد الشعور الكبير للإيمان العظيم ، فنكون بالتالى أمام شعور حار يجنى المسلمون خيره ، ويتقون شره من قبل إيمان عمر الحار أيضاً .

وعمر – على هذا – كان عظيماً جداً فى الدوافع التى ينطلق منها ، والضوابط التى يسوس بها تلك الدوافع .

ولكم رأينا رجالاً فضلاء أتقياء ، ولكن إذا غضبوا أو حزنوا طار بهم الغضب أو الحزن كل مطار ، وذهب بهم كل مذهب ، وأفقدهم صوابهم واستلب رشدهم ، فكأنهم فى هذه اللحظات الطارئة المؤقتة أشخاص آخرون ، ولم يكن عمر رضى الله عنه كذلك .

ولكم رأينا رجالاً أقوياء أشداء ، ولكن لهم نقاط ضعف يؤتون منها ، وينكسرون عندها ، فكأنهم فى هذه اللحظات المؤقتة الطارئة أشخاص آخرون ، ولم يكن عمر رضى الله عنه كذلك .

ثانياً : زهد عظيم فى متاع الدنيا ..

كان دين عمر رضى الله عنه هو دين الرجل القوى الشجاع الذى ينتصر بدينه فى ميدان الحياة ، وليس بدين الواهن المهزوم الذى تركته الدنيا ، فأوهم نفسه أنه هو تاركها ليقبل على الآخرة .

ولقد صدق معاوية رضى الله عنه عندما قال عن عمر : أرادته الدنيا ولم يردها !!

حدث حذيفة بن اليمان أنه أقبل على الناس وبين أيديهم القصاع ، فدعاه عمر إلى الطعام وعنده خبز غليظ وزيت ! فقال حذيفة : أمنعتنى أن آكل الخبز واللحم ودعوتنى على هذا ؟ قال : إنما دعوتك على طعامى ، فأما ذاك فطعام المسلمين .

وهذا يدل على زهد عمر فى نفسه ، وفقهه أنه لم يأخذ الناس بما يأخذ به نفسه .

ولقد كان عمر يحاسب غيره فيعطيه حقه فى غير بخس ولا حرج ، ويحاسب نفسه فيؤثر الشدة ليقطع الشك ويدرأ الشبهة ، ويقتدى بصاحبيه ، ويترك القدوة المثلى لمن يليه .

فالمسلك الذى أخذه عمر على نفسه كان على سبيل الاختيار ، ولم يره واجباً فى الدين أو مفروضاً فى الشريعة .

ثالثاً : إمام العادلين ..

كان العدل من أكبر صفات عمر رضى الله عنه ، وإن الأذهان تربط دائماً بين عمر والعدل ، ولقد كان العدل راسخاً فى شخصية الفاروق وهو الذى ورث القضاء من

قبيلته وآبائه ، فقد تولت قبيلته التحكيم فى الجاهلية ، وراضوا أنفسهم جيلاً بعد جيل على الإنصاف وفصل الخطاب .

وما أجمل ما قاله العقاد عن عمر رضى الله عنه : لقد كان هذا الرجل المجيد يبغض أن يظلم غيره أشد من بغضه أن يظلمه غيره .

بل ويشبه العقاد حاسة العدل عند عمر ، وكأنها من حواس بدنه .

رابعاً : مهابة رائعة : حتى الشيطان يخاف منه !!

كان عمر رضى الله عنه معروفاً بالغيرة الشديدة على الدين وكان مهيباً حتى فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم .. بل كان الشيطان نفسه يخاف منه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى تلك الهيبة (هيبة عمر) رضاً عنها واغتباطاً بأثرها فى نصرة الحق وهزيمة الباطل ، وتأمين الخير والصدق ، وإخافة أهل البغى والبهتان .

وكانت مهابة عمر رضى الله عنه فى قوة نفسه ، وصلابة عزيمته ، وروعة أعماله ، وشدة تقواه .

كما كانت فى منظر جسده ، إذ كان طويلاً بائن الطول جسيماً صلباً يصرع الأقوياء .

خامساً : فراسة عجيبة ..

كان عمر صاحب فراسة عجيبة نادرة ، وقد اشتهر بها ، وبالاستنباط بالنظرة العارضة ، وكان يرى أن : من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه وهذا يذكرنا بقول الشاعر :

الألمعى الذى يظن بك الظن كأنه قد رأى وقد سمعا

وإلى جانب الفراسة ، تميز عمر رضى الله عنه بالقدرة على كشف الخبايا ، واستيضاح البواطن ، واستخراج المعانى التى تدق عن الألباب ، والرؤيا الصادقة ، والشعور عن بعد أو كما يسمى التلباثى كما فى قصة سارية .

سادساً : رحمة الفاروق المدهشة !!

كانت الرحمة من صفات عمر الأصيلة التى وازنت فيه العدل أحسن موازنة ، بل لقد تمكنت الرحمة من شخصيته كما تمكن العدل ، وكانت صفه بارزة فيه حتى قبل إسلامه .. وهذه بعض الشواهد على رحمته البالغة رضى الله عنه :

1) كانت الرحمة خلقاً له رضى الله عنه حتى قبل إسلامه .. قالت أم عبد الله بنت حنتمة : لما كنا نرحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر حتى وقف علىّ ، وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا ، فقال لى : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت : نعم .. والله لنخرجن فى أرض الله .. آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا فرجاً . فقال: صحبكم الله ، ورأيت منه رقة لم أرها قط .
2) وإذا كانت الرحمة مشتقة من الرحم أو القرابة ، فواصل رحمه إذن رحيم رقيق شفوق ، ولقد كان عمر رضى الله عنه حنوناً على رحمه وأقربائه .. كان يحب أباه حباً شديداً ، وينقل أخباره ، ويقسم باسمه حتى جاء النهى عن ذلك ، وكان يحب أخاه زيداً ، ويبكى كلما ذكره بعد وفاته .
3) بل كان رضى الله عنه رحيماً بالناس جميعاً .

كان يذكر الصديق من أصدقائه بالليل ، فيغدو إليه فى الصباح ، فإذا لقيه التزمه وعانقه .

وكان بكاء الطفل يزعجه ويقطع عليه صلاته وينغص عليه ليله .

وبلغه أن كلاب بن أمية الكنانى ذهب فى غزوة ، واشتاق إليه أبوه وحزن لغيابه ، فأرسل إلى قائد الجيش يستعيد كلاباً ، وأمره أن يلزم أبويه ما بقيا ، وله عطاؤه كما هو كأنه يجاهد فى سبيل الله !!

وحدث سنان بن سلمة أنه كان فى صباه يلتقط البلح مع بعض الصبية إذ أقبل عمر ، فأخبره سنان الخبر بعد أن فرّ الصبية وأعلمه أنه إن تركه فسيغير الصبية عليه يأخذون ما معه ، فمشى عمر معه حتى بلغه بيته !!

4) ويتفرع عن الرحمة ويتصل بها اللباقة وحسن الذوق ، ولقد كان رضى الله عنه لبقاً وصاحب ذوق .. لما رأى ناراً توقد ، ذهب إلى جهتها ، وقال : السلام عليكم يا أهل الضوء ، وكره أن يقول : يا أصحاب النار !!

فردت عليه امرأة من الركب : وعليكم السلام ، فقال : أأدنو؟!! ، فهو يستئذن قبل أن يقترب .

فغلظة عمر التى اشتهر بها لم تكن غلظة الجفاء والعناد وتحجر القلب ، وإنما هى غشاء رقيق سرعان ما يزول فى موقف يرى عمر فيه ضعيفاً ، أو يقابل مسكيناً يحتاج إلى المعونة .

ولو كانت غلظته غلظة حقيقية ، وقسوته قسوة طبيعية ، لظهرت مع الضعفاء أيضاً ، وهيهات هيهات أن يقسو عمر الرحيم الشفوق على ضعيف .. كيف وقد حرم نفسه الطعام والشراب حتى يشبع فقراء المدينة فى المجاعة التى ألمت بالمدينة المنورة .

والعجيب فى صفات عمر الكبيرة (العدل والرحمة والغيرة والفطنة وقوة الإيمان) أنها كلها صفات غالبة فى نفسه .. والشائع أن تستأثر صفة ما بالشخصية فتطبعها بطابعها ، وتنعتها بنعتها ، فتصبح الصفات الأخرى من هذه الصفة الغالبة صغيرة بالقياس إليها ، تابعة بالمقارنة بها .

ولقد امتزجت هذه الصفات كلها فى شخصية عمر وفق تركيبة عجيبة نادرة أخرجت لنا هذا الطراز الفريد فى تاريخ المسلمين ، وتاريخ البشر على السواء .

ولعلنا نقول أن صفة عمر الكبرى الفطرية : قوة النفس ومضاء العزيمة بأعلى ما يمكن أن يوهب إنسان صفة ليس له فيها كسب ، وهذا الحظ الوافر من تلك الصفة هو ما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين .

لأن صفة كهذه إذا انضاف إليها إيمان ، فلا يمكن إلا أن يكون إيماناً قوياً حاراً عظيماً ، وينتج خيراً كبيراً.. وهكذا كان الفاروق .

ورغم قوة هذه الصفة فى عمر فإنها بدون إيمان : صفر كبر لا غنى منه ، ولا خير فيه .. وهكذا كان أبو جهل !!

سابعاً : عمر الفقيه العالم المثقف الأديب الفنان!!

كان عمر رضى الله عنه صاحب باع كبير وحظ وافر من ثقافة زمانه ؛ كان أديباً مؤرخاً فقيهاً ، مدرباً على الرياضة البدنية ، خطيباً مطبوعاً على الكلام .. وهذه بعض الشواهد على ذلك :

1) كان شديد الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية فى جاهليته وإسلامه ، وكان يتمثل بالشعر كثيراً ، ويوصى المسلمين بحفظ محاسنه ، وكان يرى أن للشعر فائدة "للصحة النفسية" ؛ فإنه يسكن به الغيظ ، وتطفأ به النائرة

(الهياج) !! وقد كان إعظامه للرجل بمقدار حذقه للحديث وقدرته على الإبانة والمنطق الحصيف .

وكان رضى الله عنه يحث على تعلم اللغة ، لأنها تثبت العقل وتزيد فى المروءة .

ولم يعترض على الشعر إلا ما كان منه مناوئاً للحق حيثما كان ، ولذلك منع الحطيئة عن الهجاء .

2) وكان عمر رضى الله عنه عليماً بتاريخ العرب وأيامها ومفاخر أنسابها ، ونقل كثيراً من ذلك عن أبيه ، كان يقول : سمعت ذلك عن الخطاب ، ولم أسمع ذلك عن الخطاب .

وكان يقول : عليكم بطرائف الأخبار ، فإنها من علم الملوك والسادة ، وبها تنال المنزلة والحظوة عندهم .

3) وأما فقه عمر ، فلقد قال عنه ابن مسعود رضى الله عنه : كان عمر أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا فى دين الله ، وقال ابن سيرين : إذا رأيت الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك فى دينه .

ويكفى أن عمر كان يقول الكلمة فتنزل آية من القرآن تقررها وتؤكدها .

وكان يوصى بطلب العلم ، ويؤكد على أهمية النية فى طلبه ، فيقول : تفقهوا قبل أن تسودوا .

وكان يفرق بين العلم الضار ، والعلم النافع ، فيقول : تعلموا من النجوم ما يدلكم على سبيلكم فى البر والبحر ، ولا تزيدوا عليه ؛ محذراً من التنجيم ، والقول بغير علم .

4) كان يهتم بالعلوم الدنيوية ، فطلب إلى أبى لؤلؤة غلام المغيرة (والذى قتله بعد ذلك) أن ينجز ما ادعاه من اختراع طاحون تدار بالهواء .
5) أثرت عنه رضى الله عنه كلمات تدل على عمق حكمته ، وسعة معرفته بالحياة والناس والدنيا :

يقول : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير الشرين .

ويقول : ما وجد أحد فى نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها فى نفسه .

ويقول : لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب .

ويقول : من كتم سره كان الخيار عنده .

ويقول : لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً (أى على الإنسان أن يلزم نفسه حد الاعتدال فى الحب والكره) .

6) كان عمر يعرف جغرافية الشرق معرفة عالم خبير ، ولقد عزل عمار بن ياسر عن الكوفة لعدم معرفته بالمواقع المحيطة بها .
7) كان رضى الله عنه له حظ من السماع والغناء إلا ما كان فيه غواية تثير الشهوات ..

جئ له برجل يغنى فى الحج ، وقيل له : إن هذا يغنى وهو محرم ، فقال : دعوه فإن الغناء زاد الراكب .

8) أما فى الخطابة فكان هو الخطيب بلا نزاع وكان مطبوعاً على الخطابة ، ولم يتكلفها .

كان له فم يمتلئ بالكلام ، ولوحظ عليه أنه كان ينطق بالضاد من كلا شدقيه ، وهى تنطق فى الغالب من شدق واحد .

وكان جهورى الصوت واضح النطق سليم الشفتين فى إخراج الحروف .

ورغم أنه لم ينظم الشعر ، لأنه قال (لو كنت أقول الشعر لرثيت أخى زيداً) إلا أنه كان مطبوعاً على التعبير الحسن البليغ ، وله تعبيرات مخصوصة ، وكأنما قد قصرت عليه :

يقول : وأجاف الباب أى أوصده .

ويقول : فعقرتُ حتى ما تقلنى رجلاى ؛ أى عجزتُ عن القيام .

ويقول : شر الكتابة المشْقُ (مد حروفها وأسرع فيها) وشر القراءة الهَذْرَمة (هذرم القرآن : أسرع قراءته لا يتدبر معانيه) وأجود الخط أبينه .

ويقول فى المشورة : الرأى الفرد كالخيط السحيل (الذى لا يبرم غزله) ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار (قوية محكمة) لا يكاد ينتقض .

ويقول : ولا تبعث سرية إلا فى كثف (جماعة) من الناس .

ويقول : ذلك أنفى للسكاك (أى للزحام) .

ويقول فى سماحه بالبكاء : ما لم يكن نقع أو لقلقة ؛ أى ما لم يثر التراب ويفرط فى العويل .

ويقول : تمعددوا ؛ أى: تزيوا بزى العرب من معد بن عدنان .

ويقول : فإن الحريب من حرب فى دينه . أى : المسلوب .

ويقول : ثلاث من الفواقر (أى الدواهى) .. منها : وامرأة إن دخلت عليها لسنتك (أى تناولتك بلسانها) وإن غبت عنها لم تأمنها .

وقال لسعد بن عبادة يوم السقيفة : لقد همت أن أطأك حتى تَنْذُر عضدك : أى تسقط .

وقال عن امرئ القيس الشاعر : خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر .

أى استنبط عين الشعر وشق طريق المعانى وأتى بالشوارد الحسان .

وكان يسمى مواليه أسماء عجيبة : أسبق وأسلم ويرفأ وفرقد وذكوان وفروخ .

والجميل فى كل تعبيراته أنها تلقائية وليست متكلفة ، وتتجلى فيها الطبيعة العمرية من القوة والخشونة والاستقلالية والتفرد والاقتصاد وعدم التكلف والتعبير عن أعمق المعانى بأقصر الألفاظ .

9) كان عمر يمتلك حاسة الفنان من رقة الحس ورهافة الشعور ؛ من ذلك أنه كان شديد الحنين إلى الماضى ، وشديد الوفاء لذكرى صاحبيه ، وحازماً جداً فى السّير على آثارهما ، اختار يوم الهجرة للتأريخ للإسلام ، وأفلح فى صنعه هذا ، لأن العقائد تقاس بمكابدة الشدائد والأهوال ، وليس بجنى الثمار وفتح البلدان .

ودعا بلالاً للآذان بعد أن انقطع عنه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فبكى كل من سمع الآذان فى ذلك الوقت .

10) كان له نصيب من رياضة زمانه ؛ إذ كان يصارع فى المواسم ويسابق على الخيل ، وكان يوصى بتعليم الفتيان السباحة والفروسية ، وأن يتعلموا محاسن الشعر ، فكأنه يوصى بما يقوّى الأبدان ، وما يجود العقول والأذهان . وكان يأمر بالوثب على الخيل وثباً .

ثامناً : تفرد عمر بين الصحابة ..

عدة أمور تدل على أن عمر نسيج وحده بين عظماء الإسلام ، منها :

1) شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالتفرد ، حيث قال فيه (لم أر عبقرياً يفرى فريه ..) ، أى : يعمل بمثل عمله ، ويصنع مثل صنيعه .
2) حقق عمر رضى الله عنه المعادلة الصعبة ، فقد كان رجلاً غاية فى البأس ، وغاية فى العدل ، وغاية فى الرحمة ، وهذه صفات قل من يستطيع أن يجمع بينها .
3) إن رواية تاريخه رواية تاريخ رجل يؤثر عنه أنه (أول من صنع كذا ، وأول من أوصى بكذا) .. وهكذا حتى نعد العشرات من هذه (الأوليات) .

تاسعاً : عمر فى بيته ..

كان عمر رضى الله عنه رجلاً زاهداً يعيش عيشة الكفاف ، ويعيش حياة خشنة جافة لدرجة أنه كان يخطب بعض النساء فيأبين عيشه ، منهن أم كلثوم بنت أبى بكر ، وأم أبان بنت عتبة بن ربيعة ، وهى التى قالت فيه : إنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه ، كأنه ينظر إلى ربه بعينه .

ولكن خشونة عمر لا تعنى قسوته ، بل لا تنفى فرط عطفه ورحمته رضى الله عنه والتى كانت بادية لكل من خبره وعاشره ؛ فنساؤه اللاتى عاشرنه قد كلفن بحبه ورضين عيشه لرضاهن بمودته وعطفه ، وكانت زوجته عاصية (والتى سماها الرسول صلى الله عليه وسلم جميلة) لا تطيق فراقه ، فإذا خرج مشت معه إلى باب الدار فقبلته ولم تزل فى انتظاره .

وزوجته عاتكة بنت زيد رثته رثاء تبين منه صدق المدح ، وصدق الحسرة على الفراق .

بل إن عمر المحب هو الذى قال : عليكم بالأبكار لأنهن أكثر حباً وأقل خباً (خداعاً) .

وهو الذى يقول : لو أدركت عفراء وعروة جمعت بينهما . وكان عروة شاعراً عاشقاً ، وكانت عفراء معشوقته .

وقال : أحب أن يكون الرجل فى أهله كالصبى ، فإذا احتيج إليه كان رجلاً .

وأما علاقة عمر بأرحامه ، فحدث عنها ولا حرج .

كان باراً بأبيه ، ولا يفتأ يذكره ، ويقسم باسمه حتى نهاه النبى عليه الصلاة والسلام .

أما قصة وأد عمر ابنة له فى الجاهلية ، فمختلقة لا أصل لها ولو حدث لفعل ذلك مع حفصة ، وهى كبرى أولاده .

ثم إن هذه العادة لم تكن شائعة فى جميع القبائل العربية ، وفى أسرة الخطاب خاصة والتى عاشت منها فيما نعلم أخته فاطمة .

وكان عمر يعلم الأساس المتين الذى تبنى عليه البيوت ، حين قال لرجل هم بطلاق امرأته لأنه لا يحبها : أوَكل البيوت بنى على الحب ، فأين الرعاية والتذمم ؟

وهذا فقه منه رضى الله عنه ، لأن الحب متعلق بالأهواء المتقلبة ، وأما الرعاية والتذمم فعلاقتها بالأخلاق والطباع التى باستطاعة الإنسان أن يتحكم فيها ويوجه دفتها ، ويلزم نفسه بمكارمها .

وكان عمر رضى الله عنه قوياً فى تعامله مع المرأة ، ليس قوة الغلظة والجفاء ، ولكنها القوة التى لا تضيق بها النساء ، وربما يحمدن الرجال عليها .

ومن مظاهر قوته فى بيته أنه كان لا يستسلم لسلطان المرأة ، وأقوى ما يكون سلطان المرأة فى جمالها ؛ كان رضى الله عنه متزوجاً من قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وكان يضرب بها المثل فى جمالها ، وكذلك كان متزوجاً من عاصية بنت ثابت وهذا اسمها قبل إسلامها ، فلما أسلمت سماها الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفها : جميلة ، ومع ذلك فقد طلق عمر المرأتين (الأولى قبل إسلامه ، والثانية بعد إسلامه) لدواع لم يحفظها التاريخ لنا ، ولكن الشاهد أنه لم يخضع لجمالهما ؛ فكأنه لما رأى منهما ما لم يتحمله ، لم يضطره جمالهما إلى الاحتفاظ بهما رغماً عنه خضوعاً لسلطان الجمال .

فكانت قوته فى طلاقهن عندما اقتضت الدواعى لذلك ، وقد أخذ على ابنه عبد الله عجزه عن طلاق زوجته ، ولما سألوه أن يستخلفه قال : ويحك ! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته .

ولما تزوج من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب حفظ لها صغر سنها وصلتها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينشب بينه وبينها خلاف إلا حين جاءت الهدية من ملكة الروم فضمها إلى بيت المال .

ورزق عمر الذرية من ذكور وإناث ، وكان كأهل البداوة يستكثر من الذرية ، وكان يحب أولاده ويبعدهم عن المواطن التى يظن فيها انتفاعهم بما لأبيهم من إمارة المؤمنين .

عاشراً : عظمة الفاروق فى وداعه للدنيا !!

لقد تمكنت العظمة والعبقرية من عمر رضى الله عنه حتى بدا عظيماً فى كل أحواله ، وكل أعماله ، وكل تصرفاته ، كان عظيماً فى إسلامه ، وفى صفاته ، وفى خلافته ، ومع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة رضى الله عنهم ، وكان عظيماً حتى عند مقتله ، ولقد تجلت عظمة الفاروق وهو يودع الدنيا حيث يمكننا أن نرصد النقاط التالية :

1) كان مقتل عمر أكبر دليل أن سورته كانت للحق ، ولم تكن لشخصه .

فقاتله عبد دفعته نزعة شعوبية لارتكاب جريمته ، فلم يبادله عمر عصبية بعصبية بل كان كل ما سأل عنه : ألمظلمة كان قتله ؟ وهل كان القاتل مسلماً ؟ فتخيل أن هذا هو ما اهتم به عمر ، وهذا ما دفعه فضوله للسؤال عنه !! إن من الناس من لو خدش لغضب غضباً عجيباً ، ولكن عمر الذى يخاف الشيطان منه ها هو يُقتل وتكون هذه هى الأسئلة التى يسألها !

2) لم تشغله الطعنات التى تلقاها عن الصلاة ، وسأل عن عبد الرحمن بن عوف ليصلى بالناس !!
3) ولما علم أن أبا لؤلؤة قتله ، قال : ما كانت العرب لتقتلنى ؛ ففى لحظاته الأخيرة يحلل ويفسّر ويستكشف العلل !!
4) واختار ستاً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لاختيار الخليفة من بينهم ، فهو يهتم بأمر بالمسلمين حتى فى لحظاته الأخيرة .

5) استأذن أم المؤمنين عائشة فى أن يدفن إلى جوار صاحبيه ، وأرسل ابنه عبد الله ، وبلغت دقته أنه نهى ابنه أن يسميه عند أم المؤمنين أمير المؤمنين لأنه ليس اليوم للمؤمنين بأمير !!!!! ، بل لقد استوثق بعد أن وافقت أم المؤمنين ، فأمر ابنه أن يذهب ليستأذن مرة ثانية بعد وفاته وهم يمرون بالجثمان لأنه يخشى أن تكون موافقة عائشة رضى الله عنها حياءً منه !! فإن أبت فليدفنه فى مقابر المسلمين .

وهكذا ظل عمر على صفاته العظيمة التى عرف بها حتى بعد طعنه ، فظهر وهو قريب من الموت قدوة فى الشجاعة وتقديم الواجب والاهتمام بأمر المسلمين ومحاسبة النفس وكانه لم يصب بمكروه .

ولقد مات عمر رضى الله عنه وعليه دين ، فأوصى لابنه عبد الله بسداد ديونه ، فضمن ذلك ولم يمض أسبوع على مقتله حتى ذهب بوفاء الديون إلى عثمان ، وبسبب هذا الدين بيع دار للفاروق ، وسميت زمناً بدار القضاء ، لأنها بيعت فى قضاء دينه .

وهكذا انطوت صفحة رجل من أعظم رجال المسلمين ، بل من أعظم شخصيات التاريخ .. كانت مناقبه وأخلاقه متوافقة فيه على قوة نادرة وتلاقت فيه إلى غاية واحدة ، وهى إحقاق الحق وإدحاض الباطل .

ولقد ترسخ خلق العدل فى نفس عمر حتى أصبح كالوظيفة العضوية التى لا تنفصل منه ، فالعدل فيه كالشم والتنفس واللمس فى سائر الناس !!

وحتى وصل به الأمر أن ينظر إلى نفسه وإلى ذويه كأنهم أشخاص غرباء يسرى عليهم ما يسرى على غيرهم دونما أدنى فرق .

وكانت فيه خشونة الأقوياء الصرحاء الذين لا يجاملون أو يداهنون ، ولم تكن خشونة الغلاظ الأجلاف الذين تنبعث عصبيتهم بالحق والباطل ، فكانت خشونته وشدته تعينه على تحرى الحق والدعوة إليه وتقريره وليس على الصد عنه والحيلولة دون تطبيقه .

قال عنه عبد الله بن مسعود : لو أعلم عمر كان يحب كلباً لأحببته !!

وكان عمر على شدته لا يثير الكراهية فى قلب إنسان لأنه كان مبرءاً من العنصر الشخصى فى معاملة الأصدقاء والخصوم ، فيخيل إليك أنك لا تتعامل مع إنسان

ولكن تتعامل مع نظام آلى يطبق ما برمج عليه ، ولكنه إنسان وإنسان عظيم جعل الله الحق على لسانه وقلبه كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان من يذوق عقاب عمر ، يعلم أنه عقاب الشريعة أناط الله والمسلمون تطبيقها بعمر ، فهو يقوم بذلك خير قيام .

والعجيب أن يموت هذا الرجل مقتولاً وهو أعدل العادلين ، ولكنها إرادة الله أن يصطفيه شهيداً ، ولقد راح رضى الله عنه ضحية تآمر مذهبى طائفى ، وهكذا كل بغضاء لعمر اصطبغت بصبغة طائفية ، لأن هذا الرجل مع عظمة شخصيته لا يبغضه إلا كل مبغض للخير والحق والعدل .. بل ومبغض للإسلام !!

مفتاح شخصية عمر فى نظر العقاد ..

مفتاح الشخصية هو كلمة السر التى تستطيع من خلالها وفى ضوئها أن تفسر كل ما يصدر عن شخصية معينة ، بل وقد تدلك على المتوقع من هذه الشخصية من حيث تصرفها فى موقف محدد .

وإذا عثرت على مفتاح شخصية أحد من الناس ، أمكنك أن تقرأه وكأنه كتاب مفتوح بين يديك تقلب صفحاته كيفما تشاء ، وإن كان الأمر ليس بهذه السهولة لتعقد النفس البشرية وتلونها وتغيرها وتداخل العديد من العوامل فى تحديد نهجها وردود أفعالها .

والفرق بين مفتاح الشخصية وصفاتها ، أن الصفات الحسنة منها والقبيحة توجد فى كل الناس ، ولكنها تنطبع وتصطبغ بطابع صاحبها وصبغته ، ومفتاح الشخصية هو الذى يطلعك على الفرق بين رؤوف ورؤوف ، أو حليم وحليم ، أو خائن وخائن ، أو قوى وقوى !!

وأعنى أن مفتاح الشخصية يطلعك على الدوافع والمنطلقات التى تشكل الصفات ، والمفتاح يجعلك تفهم : لماذا حدث ما حدث ؟ ولماذا جاء التصرف على هذا النحو ؟ وإلى أى شئ يمكن أن يؤول فى نهاية المطاف ؟ وباختصار ، المفتاح هو الذى يطلعك على بواعث الفعل ومظاهره وآثاره . والمفتاح هو الذى يريك الخيط الواصل بين بداية التصرف ونهايته ، أى بين منطلقاته ومآلاته .

وإذا عرفت المفتاح ، فقد انكشفت الشخصية أمامك ، ولم يعد فيها بعد ذلك أدنى شائبة من غموض ، اللهم إلا غموض النفس البشرية الطبيعى والذى لا يدرى كنهه حتى صاحبها .

وعثورك على مفتاح شخصية أحد ليس بالشئ السهل ، ويتطلب منك نظرة عامة على أعماله وسيرته لكى تستطيع أن تستخرج ما يجمعها ويصهرها فى بوتقة واحدة ، وكذلك الاطلاع على جذور ماضيه وكيف تشكلت شخصيته ، ومعرفة نبذة عن أهم الأحداث السابقة فى حياته .

ويرى العقاد أن **(طبيعة الجندى)** فى صفتها المثلى هى مفتاح الشخصية العمرية .

وخصائص الجندية : الشجاعة والحزم والانضباط والخشونة والطاعة وحب النظام والقيام بالواجب .

وهذه الخصائص موجودة كلها بوضوح فى شخصية عمر كما يتجلى ذلك فى :

1) كان يصلى بالناس فلا يكبر حتى يسوى الصفوف ويوكل رجلاً بذلك .
2) وأمر بأن يجتمع الناس إلى قارئ واحد فى المسجد بعد أن رآهم أوزاعاً متفرقين .
3) وكتب إلى عمرو بن العاص : وقع إلى أنك تتكئ فى مجلسك ، فإذا جلست فكن كسائر الناس ولا تتكئ .
4) كان ينزل درجة فى سلم المنبر لأن الخليفة الأول أولى منه بالتقديم !
5) وكان يأمر بالجد ، ويحذر من المهازل لأنه كما قال : من كثر ضحكه قلت هيبته .
6) وكان يمشى شديد الوطء على الأرض جهورى الصوت ، وكان يأمر بتعلم الرماية والسباحة والفروسية .
7) وكان منظماً ؛ فقد دون الدواوين ، وأحصى كل نفس فى الدولة الإسلامية .
8) ولقد راجع عمر النبى صلى الله عليه وسلم فى مسائل شتى ، فأخذ النبى برأيه فى بعض هذه المسائل وخالفه فى بعضها ، فلم تكن طاعته فيما خولف فيه أقل مما ووفق عليه ، وهذه هى طبيعة الجندية .
9) وكان لعمر رغم طبيعته الشديدة فكاهاته الجميلة المضحكة والتى تتسم بالشدة أيضاً ، مثل ما فعل مع الحطيئة حيث أتى به وأتى بشفرة يوهمه أنه سيقطع لسانه ليكف عن توظيف شعره فى هجاء الناس ، فأشفق الحطيئة وتشفع

الحاضرون فيه ، وأخذ عهداً عليه ألا يهجو أحداً ، وقد وفى بعهده طول حياة عمر رضى الله عنه .

والجندية فى عمر فطرية وليست مكتسبة .. وهكذا نرى عمر فى كل أحواله اتسم بسمت الجندية .

وقد لا أختلف مع الكاتب كثيراً ، ولكنى أقول : إن مفتاح شخصية عمر رضى الله عنه كانت :

حب الحق وإرادته من كل قلبه .

ومن ثم القدرة البالغة على تمييزه والتفريق بينه وبين الباطل ، وتقريره فى الواقع .

وقد اقترحت هذا المفتاح لأن الجندية مطبوعة على السلبية وتلقى الأوامر ، أما عمر فكان دائماً فى موقف إصدار الأوامر ، وعرض المقترحات لا كمقترحات يؤخذ بها أو لا ، وإنما كأنها واجبة التنفيذ لا لشئ إلا لأنه رآها حقاً ، وكانت المبادرة تظهر منه حتى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإن كان العقاد يقصد أن عمر رضى الله عنه كان ينظر إلى خلافته بمنظور الجندية أيضاً ، فهو فى موقف الخليفة وأمير المؤمنين ، فحق له على الناس أن يسمعوا ويطيعوا .. هذه هى طبيعة الجندية .

ولكنى أختلف مع العقاد فى أنه يحاول أن يفسر جميع تصرفات عمر وعاداته وفق المفتاح الذى اقترحه لشخصيته ، كتفسير عدله وإيمانه وفقاً للجندية التى يرى العقاد أن عمر مطبوع عليها ، وإذا قرأت كلامه عن صلة القرابة بين العدل والجندية ، والإيمان والجندية لما لمحت رابطة معينة أو صلة مخصوصة بين الجندية وبين هذه الصفات .

ومن ذلك تفسير محبة عمر للخمر فى الجاهلية ، إذ يقول العقاد : وقد نرى أنه (أى حبه للخمر) قريب من مزاج الجند غير نادر فيهم ، إذ الخمر توافق ما فيهم من سورة طبع ، وتشغلهم عن الخطر ، أو تعينهم عليه ، وتصاحبها فى كثير من الأحيان ضجة يألفونها .

وسبب اختلافى أنه إن كان هناك من الجنود من يحب الخمر للأسباب التى ذكرها المؤلف ، فهم جنود لم تهذبهم أخلاقيات الإسلام بالتأكيد ، فهم أبعد الناس عن القتال من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا .

ثم إن العقاد يحاول أن يفسر شخصية عمر وفق مفتاح الجندية ، ويتناول بعض ما كان يفعله عمر فى الجاهلية ، وكأن العقاد يصرف النظر أن عمر قبل إسلامه شخص ، وبعد إسلامه شخص آخر ، وقد تكون الهوة عميقة جداً بين الشخصين ، ونحن لا ندرى كيف سيكون حال عمر لو ظل على جاهليته ، ولا ندرى هل سيصلح مفتاح الجندية لتفسير شخصيته إن كانت تستحق – مع جاهليتها – أن يحفظها التاريخ فى سجلاته !!

وسبب آخر لاختلافى أن : مفتاح الشخصية قد ينجح فى تفسير الكثير من تصرفات صاحبه وعاداته ، ولكنه قد يعجز عن تفسير بعضها بسبب طبيعة الإنسان المعقدة ، ونفسيته التى تشابكت فيها الخيوط ، وامتزجت فيها الدوافع ، وتداخلت فيها الأهداف والتى تجعل من العسير أن يكون هناك مفتاح واحد ألم بكل أبعادها ، ورصد جميع عناصرها ، وأحاط بجميع تفصيلاتها .

وغاية ما هنالك – فى مسألة حب عمر للخمر فى الجاهلية – أن معاقرة الخمر خلق شاع فى الجاهلية ، وليس بمستغرب أن يأتيه عمر قبل إسلامه .

بين التلميذ والأستاذ .. عمر والنبى !!

فى علاقة عمر التلميذ بأستاذه النبى صلى الله عليه وسلم نرى كيف أن القوة لا تتناقض مع الإعجاب ، إذ يعتقد الكثير من الناس أن القوى الذى يهابه الناس ويعجبون به لا يعجب هو بأحد ، وهذا ما نرى نقيضه فى إعجاب عمر رضى الله عنه بأستاذ البشرية جمعاء صلى الله عليه وسلم .

نرى هذا فيزيدنا إعجاباً به ، واستشعاراً لقوته ، وها نحن لا نرى تناقضاً بين أن يكون الإنسان قوياً يُعجب به الناس ، ويعجب هو بمن يفوقونه قدراً .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يجارى عمر وقد يستحب ما يراجعه فيه ، وهكذا نتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة تعامل القائد مع أتباعه النجباء الأقوياء ، فهو لا يضيق بهم ، ولا يكبت على قوتهم ونجابتهم ، وإنما يرعاها وينميها ليخلق صفاً ثانياً يرفع الراية بعده ، ولقد كان النبى بسبب لينه وحسن معاملته مع الناس جميعاً يجارى عمر فيما يقول غير آبه بما يمكن أن تسفر عنه هذه المجاراة ، لأن عمر تابع مخلص ، وعند الجد يقول الرسول موقفاً عمر عند الحد

الذى ينبغى أن يقفه التابع أمام قائده : الزم غرزك يا ابن الخطاب ! إنى رسول الله ولن يضيعنى الله أبداً !

لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ينزعج من مراجعات عمر له ، بل كان يرى فيها غيرة محمودة يرجو للإسلام الخير منها ، وكان يدخر للإسلام سورته ، ويسوسه فى رفق سياسة المعلم لتلميذه الذى يعينه ويستعين بغيرته ، ويروضه رياضة الإمام لمريده الذى يهيئه للإمامة بعد حين .

وهذه القصة تبين مدى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على غيرة عمر ، وحرصه على استبقاءها دائماً فى طور النمو والزيادة استفادة منها لإعلاء كلمة الحق ، وإزهاق كلمة الباطل .

كان الأسود بن شريع شاعراً ينشد النبى بعض الأماديح فاستنصته مرتين إذ دخل عليهما عمر والشاعر لا يعرفه فصاح : واثكلاه ! من هذا الذى أسكت له عند النبى ؟ فقال النبى : هذا عمر ، هذا رجل لا يحب الباطل !

وهذه القصة تكبر عمر مرة ، وتكبر النبى مرات ، وترينا كيف يكون الفرق بين الرجل العظيم والإنسان العظيم .. والرجل هو عمر ، والإنسان هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وليس معنى هذا أن النبى كان يستمع إلى لغو أو يرضى بباطل ، ولكن معناه أن الإمام يطيق ما لا يطيقه المريد ، ويتسع صدره لما تضيق به صدور تابعيه .. وأن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يعود الناس مهابة عمر ، وأن يستبقى لعمر سورته فى محاربة الضلال ، والأيام كفيلة بترويض تلك السورة فيما ينبغى أن تراض عليه .

إن عمر رضى الله عنه كان ينكر الباطل إنكار المحارب الذى ينقض على الباطل بسلاحه دون هوادة عندما يراه ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو نبى الرحمة كالطبيب يعرف أى ضروب الإنكار تجدى فى إزالة الباطل ، فلا يستخدم جرعة كثيفة فى الوقت الذى تكفى فيه جرعة خفيفة لتحقيق المراد .

ومن ضروب إنكار الباطل أحياناً أن تتجاوز عنه ، وأن تتربص به الأيام حيث يزول تلقائياً دون تدخل .. وهذا هو الفارق بين عمر رضى الله عنه والنبى عليه الصلاة والسلام .. الفارق بين الرجل العظيم والإنسان العظيم .

كان النبى عليه الصلاة والسلام إنساناً عظيماً فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء والكبار والصغار فتجده يجيد التعامل مع الإنسان فى شتى أطيافه ، وفى جميع أطواره ، وعلى كل حالاته .

وهناك من الصغائر الآدمية ما يطيقها الإنسان العظيم ويبرم بها الرجل العظيم !!

ولا شك أن عمر الفاروق قد استفاد من دروس معلمه وهاديه ، كما ظهر من سياسته أيام خلافته .

وهو قد اعترف بذلك عندما أشار على النبى صلى الله عليه وسلم بقتل عبدالله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين ، ولم يأخذ الرسول بقول عمر ، ومضى ابن سلول فى شططه حتى أنكره قومه وعقوه ، وأعلن ولده أنه سيقتله إن أمر الرسول بذلك ، فحينها قال النبى عليه الصلاة والسلام لعمر : أما والله لو قتلته يوم قلت لى اقتله لأرعدت له أنوف ، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته .. فقال عمر رضى الله عنه : قد والله علمت ، لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى !!

وكذلك ما حدث لسهيل بن عمرو الخطيب المفوه الذى كان يؤذى المسلمين ، فأسر يوم بدر فأشار عمر على النبى بكسر ثنيتيه السفليين ليعجز عن الكلام ، فأبى النبى وقال لعمر : عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه ، وقد كان ما قاله النبى إذ انبرى الرجل فى حروب الردة يقطع بلسانه كما يقطع السيف !! وكان قد أسلم .

وكذلك ما حدث فى صلح الحديبية ، ورأى الناس جميعاً خلافاً لما توهموه بركة هذا الصلح على الإسلام والمسلمين .

كل هذه الدروس النبوية أثرت فى عمر ، وأعادت تشكيل سورته وغيرته ، وصرفتهما فى مكانهما الصحيح ، ونرى ذلك جلياً حين بلغ عمر فتح (تستر) إذ ذكروا له أن رجلاً ارتد عن الإسلام فقتلوه ، فلامهم على قتله وقال لهم : هلا أدخلتموه بيتاً وأغلقتم عليه وأطعمتموه كل يوم رغيفاً فاستتبتموه ؟ اللهم إنى لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذ بلغنى .

وكان عمر رضى الله عنه يرى نفسه سيفاً مسلولاً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء ضرب به وإن شاء أغمده ، وأنه كان جلوازه (والجلواز هو الشرطى) ، وليس لمن هذا شأنه إلا أن يأتمر بأمر ولى الأمر .

وهكذا كان الفاروق مع الصديق رضى الله عنهما ، لا يضنّ عليه برأى أو معونة ، ولقد قال الصديق عنه كلما تحدثوا إليه بغلظته : إنما يشتد لأنه يرانى ليناً ، ولا غلظة على الضعفاء فيه .

عمر رجل الدولة العظيم

ما أجمل قول العقاد عن عمر : أن هذا رجل لم تواجهه فى ولاياته الواسعة صعوبة أكبر منه وأحوج إلى قدرة أعلى من قدرته ، أو هيبة ودراية أجل مما كان له من هيبة ودراية .

وحين تناول عمر رضى الله عنه راية الخلافة من أبى بكر ، أدهشنا من قدرته على ترسيخ أسس الدولة الوليدة وكأنه ملك تربى فى دولة عريقة فى القدم ، راسخة فى العمران ، فكيف لرجل لم تعنه السوابق أن يأتى بمثل ما أتى به عمر ؟!

وإننا لندهش من فطنة عمر إلى أشياء هى من أهم الأمور التى يجب أن تراعى فى طور تأسيس أى دولة وكأن عمر درس التخطيط الاستراتيجى ، ودرس الإدارة العامة وبرز فيهما كما لم يبرز فيهما فيلسوف كبير أو رجل دولة محنك .

وهيا بنا نتعرف على خصائص عمر كرجل دولة ..

أولاً : الفاروق ووضعه لأسس الدولة الإسلامية الوليدة ..

رغم أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه له السبق على كل خلفاء الإسلام فى توطيد العقيدة بين العرب بما فعله فى حروب الردة ، وفى تأمين الدولة من أعدائها بتسيير البعوث و فتح الفتوح ، إلا أن عمر يعتبر مؤسساً – من عدة وجوه – للدولة الإسلامية :

1) كان رضى الله عنه مؤسساً حتى قبل خلافته حين جهر بدعوة الإسلام حين أسلم ، وجهر بالهجرة حين هاجر ، والهجرة حدث الإسلام الأعظم بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم .
2) وكان مؤسساً لها حين بسط يده إلى أبى بكر فبايعه بالخلافة ، وحسم الفتنة فى مهدها .
3) وكان مؤسساً لها حين أشار على أبى بكر بجمع القرآن الكريم ، وهو دستور المسلمين .

4) أشار بوضع علم النحو لحفظ اللغة من الخلط والفساد ، وهذا شئ وارد مع الفتوح الكثيرة ، واختلاط العرب بالعجم .
5) أرّخ للدولة الإسلامية بالهجرة ، ولقد أفلح فى صنعه هذا ؛ لأن العقائد تقاس بمكابدة الشدائد والأهوال ، وليس بجنى الثمار وفتح البلدان .
6) كان من إنجازات عمر التى سنها لمن بعده : أنه أنشأ البريد ، وبيت المال ، ومرابط الثغور ، ومصنع السكة لضرب النقود ، ودار الحبس للعقاب ، ووكل معظم الدواوين إلى أبناء البلاد يزاولونها بلغاتهم ؛ لأنها ليست من أسرار الدولة ، وليس من الميسور أن ينصرف إليها فتيان العرب عما هو أولى بهم من فرائض الدفاع والجهاد .

ثانياً : فلسفة عمر الفاروق فى الحكم ..

كان عمر رضى الله عنه عبقرياً فى رؤية كيف تقام الدول ، وكيف تبقى ، ولقد جمع صلاح أمر الحكم فى ثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . وصلاح المال فى ثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى فى حق ، ويمنع من باطل ، وهذه بعض فلسفته فى الحكم :

1) كان ينظر للولاية على أنها تكليف لا تشريف ؛ فكان يقول للوالى : افتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً .
2) كان ينظر إلى دور الدولة أنها خادمة للرعية ؛ حيث كان يقول للرعية : إنى لم أبعث إليكم الولاة ليضربوا أبشاركم (جلودكم) ، ويأخذوا أموالكم ، ولكن ليعلموكم ويخدموكم .
3) كان يرى أن الحكم لا يصلح إلا بشدة لا جبرية (طغيان وجبروت) فيها ، ولين لا وهن فيه .
4) كان عمر يحب أن تنتشر الإيجابية بين الرعية ، فلا يتحاكمون إلى الحاكم فى كل شئ .

كان يقول : اعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلىّ .

5) كان عمر يرى أن تجاب الرعية إلى ما تحب إذ كان فى ذلك صلاح أمرها ، كاستبدال أمير بأمير ، كما حدث ذلك فى عزل سعد بن أبى وقاص لما شكاه

أهل الكوفة ، فعزله لا عن عجز أو خيانة ، كيف وقد اختاره ضمن الستة الذين استخلفهم بعده لاختيار الخليفة منهم .

6) والعجيب من عمر أنه كان يباشر شئون خلافته بيده ، ولا يقتصر عمله على الإشراف والمراجعة ؛ فتجده يحمل الدقيق على ظهره ، ويتحسس أخبار الرعية بنفسه ، ويستمع للشكايات من الشاكى مباشرة ، ولا يفعل هذا فى يوم أو يومين وإنما طوال مدة خلافته العامرة إلى أن قبضه الله إلى جوار صاحبيه .

ثالثاً : عمر مؤسس نظام الشورى ..

إن عمر لهو واضع فن المشورة بلا خلاف ، وهذه بعض عبقرياته فى وضع هذا الفن :

1) أقام نظام الشورى على أحسن ما يكون ، فجمع عنده نخبة الصحابة للمشاورة والاستفتاء ، وضنّ بهم على العمالة فى أطراف الدولة انتفاعاً برأيهم ، وحفاظاً لهم من التفرق فى البلدان .
2) جعل موسم الحج موسماً عاماً للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء فى أقطار الدولة جميعاً يفد فيه الولاة والعمال لعرض حسابهم ، ويفد أصحاب المظالم لبسط شكاواهم .
3) وكان عمر يعرف كيف يستشير ، وكيف يحسن الموازنة بين الآراء ؛ بل كان لذكائه وإلهامه رضى الله عنه يستشير الأحداث لحدة عقولهم ، وقد فعل هذا قبل فورد بقرون عديدة إذ كان هنرى فورد يقول عندما يخبره رفقاء دربه بأن شيئاً ما مستحيل ، كان يقول : ائتونى بشاب يبلغ عشرين عاماً لا يعرف أن هذا مستحيل !!
4) ولقد بلغ من فقه الفاروق أنه استشار الهرمزان فى أمر الحرب الفارسية ، فانظر كيف يستشير حتى الأعداء .

رابعاً : عمر الفاروق وعبقريته فى اختيار المناصب المهمة ..

كان رضى الله عنه عبقرياً فى تحديد (المؤهلات) المطلوبة لوظيفة معينة ، فلقد سأل عمر أصحابه عن رجل يستعمله ، فسألوه عن شرطه فيه ، فقال : إذا كان فى القوم وليس بأميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم .. ولا تجتمع هاتين الصفتين إلا فى شخص يعتقد اعتقاداً راسخاً أن المنصب تكليف وليس تشريفاً ، وعنده تقدير كبير للمسئولية ، وهو يخدم الناس لا ليمدح ، ولكن لأن هذا

واجبه ؛ فطالب المديح لا يعمل إلا عند الظهور ، أما القائم بالواجب فيعمل فى كل وقت .

وهذا الشرط العمرى العبقرى يجمع بين وجود صفات قيادية فى المرء تبرزه حتى ولو لم يكن أميراً ، وفى نفس الوقت يتحلى بالتواضع وعدم الاحتفاء بالمنصب أو شكلياته فى حال كان أميراً .

خامساً : استراتيجية عمر فى الفتوح ..

ما نهج عمر فى الفتوح إلا نهج الإسلام ، وما عظمته فيه إلا عظمة الإسلام ورحمة الإسلام ، وها هى أكبر سمتين للفاروق فى مسألة الفتوح :

أولاً : أكبر ما يميز عمر فى مسألة الفتوح أن الفتح لم يكن شهوة عنده كما كان عند الإسكندر ونابليون وغيرهما من مشاهير الفاتحين ، فلم يكن يحدث نفسه سوى بأنه قائم على أمر أمة ذات رسالة تريد إبلاغها ، وتريد تأمينها قبل ذلك .

ومن هنا كانت الفتوح فى عهد عمر إما حماية للدولة الإسلامية الوليدة ، أو نشراً للرسالة العظيمة فيما يلى هذه الدولة كالشام ومصر والعراق زيادة فى التأمين وإمعاناً فى الحماية .

لقد بنى الكثير من الفاتحين مجدهم على دماء جنودهم وجماجمهم ، وكانت الرغبة فى السطوة عندهم رغبة مشتعلة اكتوى بنارها الضعفاء والمقهورون ، وهدمت لأجلها صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، أما عمر فإن (رجلاً من المسلمين عنده أحبّ إليه من مائة ألف دينار) كما قال !!

ثانياً : ولقد كانت استراتيجيته قائمة على تأمين الجزيرة العربية من الأخطار التى تتهددها من قبل القوتين العظيمتين ؛ فقد بلغ من كيد الروم أنهم كانوا يؤلبون القبائل العربية على تخوم الجزيرة للانقضاض على الدولة الوليدة ، وبلغ من سطوة الفرس وطغيانهم أن ملكها أوفد إلى الحجاز رسولاً مع نفر من الجند ليأتيه بالنبى العربى حياً أو ميتاً ! ولقد كان يهم بإنجاز نيته لولا موته واشتعال الفتن فى بلاده حتى لقد كان عمر يتمنى أن لو بينهم وبين الفرس جبلاً من نار يحول بين الفريقين .

وهكذا كان فتحه لمصر ، فإنه قد بلغه أن قائد الروم فرّ من الشام إليها ليحشد الجنود .

سادساً : عمر وعبقريته العسكرية ..

وتتجلى عبقريته العسكرية فى ما يلى :

1) لقد كان عمر قائداً حربياً محنكاً ، ينصح قائداً له فيأمره بأن يتئد : لأن السرعة إلى الحرب بغير بيان ضياع . فانظر كيف تصدر هذه النصيحة من عمر الذى يُظن به الاندفاع ، ولئن صدق هذا الظن ، فإنه قوى فى الاندفاع وضبط الاندفاع كذلك .
2) يكتب إلى سعد بن أبى وقاص بعد اختياره لحرب فارس ، ويشير عليه بما يصنع ، فيأمره بأن يتحصّن فى الأرض التى ينزل فيها ، ويبعث الرقباء على كل ثغرة ونقب ، ويوصيه قائلاً : إن صبرتم لعدوكم ، واحتسبتم لقتاله ، وقويتم الأمانة كان النصر ولن يجتمع القوم لكم إلا وليست معهم قلوبهم (يعنى : روحهم المعنوية فى الحضيض) ، وإن كانت الأخرى (أى الانكسار والهزيمة) انصرفوا من أقرب أرض العدو إلى أقرب أرضكم أى أرض المسلمين ثم كنتم عليهم أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتى الله بالفتح .
3) ويكتب إلى سعد يطلب منه صفة المنازل التى نزل كأنه ينظر إليها ! لعل عمر لو كان معنا اليوم لكان أول من يستعين بالأقمار الصناعية وأحدث أجهزة الرادار !!
4) وكتب إلى أبى عبيدة يستنكر منه ما فعل من ترك حصار حلب ، ويضرب لذلك مثلاً كأنك تركت رجلاً ملكت دياره ومدينته ، ثم ترحل عنه ، فيشيع هذا الفعل فى البلاد ، فيتجرأوا عليكم وأمره بألا يبرح حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .
5) وكان عمر يعطى الفرصة للقائد ليخطط حسبما يفرض الموقف عليه ، ويطلق يد قائده ليتصرف حسبما يستجد من أمور بعدما وضع له الأسس العامة ، والقواعد الكلية ، ولذلك عندما استشاره أبو عبيدة فى دخول الدروب خلف العدو ، كتب إليه : أنت الشاهد وأنا الغائب ، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، وأنت بحضرة عدوك ، وعيونك يأتونك بالأخبار ، فإن رأيت الدخول إلى الدروب صواباً فابعث إليهم السرايا ، وادخل معهم بلادهم ، وضيق عليهم مسالكهم ، وإن طلبوا إليك الصلح فصالحهم .

سابعاً : السياسة التعميرية للفاروق رضى الله عنه ..

السياسة التعميرية لعمر رضى الله عنه كان فيها من شخصيته :

1) كان يهتم بتوافر الأجواء الصحية للساكنين ، وذلك لما رأى هزال الجنود بسبب فساد الجو فى المدائن ودجلة .
2) كان يهتم بالربط بين المدن بما يساعد على التيسير فى قضاء الحوائج ، فهو الذى أشار على عمرو بن العاص بحفر خليج بين النيل والبحر الأحمر ، وضرب له حولاً يفرغ فيه من أداء هذه المهمة ، ولم يأت الحول حتى جرت فى هذا الخليج السفن ، وسمى بخليج أمير المؤمنين .
3) كان يحد من ارتفاع الدور ، والتوسع فى بناء القصور لسبب وجيه أن الدول فى طور التأسيس لا يجب أن تتلهف على الترف والبذخ ، وإنما تشمر السواعد للبناء والتشييد .

ولقد قال (شبنجلر) أحد فلاسفة العصر الحديث ما معناه : إن الأمم فى بداية نهوضها تقوم على حرارة العقيدة وقوة النفس ، ويلازم ذلك بساطة الظواهر وعظمة الضمائر ، وهى على العكس من ذلك فى بداية تدهورها واضمحلالها تسلك طريق الفخامة المادية وتتشبث بما يقاس بالباع والذراع ، ويقدر بالقنطار والدينار ، وتزهد فى كل ما كان يقاس قبل ذلك بما لا يحس من العزائم والأخلاق ، وهذه أولى خطواتها نحو الانحلال والوهن .

ثامناً : نظرات عمر الاقتصادية ..

1) كان يحضّ على التجارة ، ويوصى القرشيين ألا يغلبهم أحد عليها ، لأنها ثلث الملك .
2) وكان يمنع المسلمين من التملك فى البلاد المفتوحة مخافة أن يتنافسوا على حطام الدنيا ، وكان يضمن لهم عطائهم من بيت المال .
3) ولم يكن يرضيه أن يعتمد الفقراء على الصدقات والعطايا ، وكان يوصيهم ألا يكونوا عيالاً على المسلمين ، وكان يوصى الأغنياء والفقراء معاً أن يتعلموا المهنة ، فإنه يوشك أن يحتاج أحدهم إلى مهنة وإن كان من الأغنياء .
4) وقال فى أواخر أيامه أنه لوعاد به الزمن لأخذ فضول أموال الأغنياء فقسمها على الفقراء .

ولعله كان يقصد تحصيل بعض الضرائب من الثروات الفاضلة وتقسيمها فى وجوه البر والإصلاح .

5) وقام عمر بإنشاء بيت الدقيق لإغاثة الجياع الذين لا يجدون الطعام .

6) وإنك لتلمح عظمة الفاروق بأجلى ما يكون فى المجاعة التى ألمت بالمدينة ، وسميت بقحط الرمادة وترى فى هذا العظيم كيف أن كل الخطوب لا تكسره ولا تفت من عضده ، ولا تلين عزيمته . استجلب القوت من كل مكان فيه مزيد من قوت ، وجعل يحمله على ظهره مع الحاملين ، وأقسم على نفسه لا يأكلن طعاماً يختلف عن طعام سواد الناس من رعاياه ، بل إنه نظر فى تدبير كل شئ حتى فى كيفية إضافة المقادير لإعداد وجبة الطعام ..

فأمر الزبير بن العوام أن يذهب بالبعير إلى نجد ، وليأمر الناس بنحر البعير ، ويأخذوا مقداراً من الشحم ، وآخر من اللحم ، وشيئاً من الخبز ، وحفنة من الدقيق ، ثم فليطحنوا وليأكلوا حتى يفرج الله الكرب !!

تاسعاً : عمر ومنهجه فى القضاء ..

كان عمر فى الجاهلية حكماً وقاضياً من قبيلة اشتهرت بذلك ، ثم جاء الإسلام فأدبه فأحسن تأديبه ، ويالروعة ما نصح به عمر القضاة ! كان يقول للقاضى :

1) آسى بين الناس فى مجلسك ووجهك (أى حتى عند النظرة) حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .
2) والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً وأحل حراماً .
3) ولا يخجل القاضى أن يرجع فى حكم أصدره تبين له خطأه ، لأن الحق قديم ، والرجوع للحق خير من التمادى فى الباطل .
4) الفهم الفهم فى القضايا التى لم يرد فيها شئ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى القاضى أن يعرف الأمثال والأشباه ، ليعرف كيف يقيس الأمور .
5) وأن على القاضى أن يتحمل الناس ويصبر عليهم ، ويتقى الله ليكفيه ما بينه وبين الناس .

ومن عجيب فقه عمر والذى تعلمه من الإسلام أنه فى الولاية كان يتحرى البواطن ، ويمعن فى تحريها ، ولا يكتفى من الناس بالظواهر ، وفى القضاء كان يكتفى بالظواهر حتى تنقضها البينة القاطعة .

عاشراً : وسائل عمر فى تطبيق أهم وظائف الإدارة ؛ الرقابة ..

كان عمر رضى الله عنه يرى أن مهمة الحاكم لا تقتصر على اختيار الأكفاء ليوليهم ، بل عليه محاسبتهم أيضاً .

قال يوماً لمن حوله : أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ، ثم أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ما عليّ ! قالوا : نعم . قال : لا ، حتى أنظر فى عمله أعمل بما أمرته أم لا .

ولقد كانت وسائل عمر فى الرقابة على الولاة والعمال ، دقيقة جداً ، وحازمة جداً ، ورائعة جداً :

1) كان يحصى أموالهم قبل الولاية ، ليعرف مقدار الزيادة فيها بعد الولاية .
2) كان يرصد لهم الرقباء والعيون من حولهم ليبلغوه ما ظهر وما خفى من أمرهم ، لدرجة أن الوالى كان يخاف من أقرب الناس إليه !!
3) كان يندب لهم وكيلاً خاصاً يجمع شكايات الشاكين ، ويستدرك على عمل الرقباء والعيون ، ويعرف هل ما ينقلوه صحيح أم لا !!
4) كان يأمرهم أن يدخلوا بلادهم نهاراً إذا رجعوا من ولاياتهم ليظهر معهم ما حملوه فى عودتهم ، وكان يقيم الأرصاد على ملاقى الطريق !!
5) كان يستقدمهم فى كل موسم من مواسم الحج ، ليصبح الحساب على الملأ .
6) بل نوى فى أواخر أيامه أن يستكمل الرقابة بالسير فى البلاد ، فيقيم شهرين شهرين فى الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة لأنه يعلم (رغم كل ما اتخذه من وسائل للرقابة) أن : للناس حوائج تقطع عنه ، أما هم فلا يصلون إليه ، وأما عمالهم فلا يرفعونها إليه .
7) وكان يأخذ الوالى أحياناً بوزر ولده أو ذوى قرابته إذا وقع فى نفسه أنهم يستطيلون على الناس بسلطان الولاية ، ولا ينهاهم الوالى عن ذلك .
8) وكان يأمر الحكام بإدناء الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وبتعهد الغريب لأنك إن لم تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به .

عمر والحكومة العصرية (عمر فى ميزان العصر الحديث) ..

ينوّه العقاد إلى أنه من الحقائق التى يجب أن نأخذها فى الاعتبار ونحن نقدر الأبطال فى العصور الغابرة أنهم أبناء عصورهم وليسوا أبناء عصورنا ، وأننا مطالبون بأن نفهمهم فى زمانهم ، وليس هم مطالبين بأن يشبهونا فى زماننا .

ثم إن الحق أنه لا عصرنا أفضل من العصور السابقة ، ولا العصور السابقة أفضل من عصرنا ، وإنما الفرق بين العصور السابقة وعصرنا هو فرق الألفة والاستغراب ، فعصرنا مألوف لنا ، وسائر العصور مستغربة لنا ، وكثيراً ما نبنى

مقاييس الألفة والاستغراب على المظاهر (كالأزياء) دون الجواهر (كسيادة القيم العليا) .

وهذا الفرق الزمانى بين عصرنا والعصور السابقة يماثله الفرق المكانى بين بلدنا التى نعيش فيها ، والبلدان الأخرى التى تفصلنا عنها سهول وجبال وبحار وأنهار ؛ فإننا نستغرب ما عندهم ليس لكونه خاطئاً ، ولكن لأنه ليس مألوفاً لنا .

ومهما تغيرت أشكال الحكومات ما بين ملكية وجمهورية ، ومهما سنّت الدول من قوانين ، ومهما وضعت من دساتير على تعددها واختلافها ، فلن تبلغ الغاية التى وصلت إليها الدولة الإسلامية فى عهد الفاروق من إرساء قواعد العدل ، وتشكيل أعظم أسوة فى إعطاء كل حق لصاحبه .

أبدع العقاد فى هذا الفصل الذى تناول فيه أنه لايجب أن تهمنا الشكليات وتجعلنا نغفل الأصول والحقائق ، وأن الحقيقة الكبرى أن عمر كان شخصية عبقرية هذبها الإسلام ، فاحتلت مكانة لا تدانيها مكانة الكثيرين غيره من العظماء والمشهورين على مر التاريخ .

وأنه يجب علينا كذلك أن نستفيد من سيرة عمر ولا نقيسها بقياس عصرنا الذى من أخبرنا يا ترى أنه خير العصور ؟!!

واستعرض العقاد بعض الحوادث التى تروى فى عهد عمر الفاروق ، والتى يستغربها أبناء العصور الحديثة ، ويرون أن ما كان يفعله الفاروق بسيط وساذج وغير متطور! ولا يناسب عصرنا ، وربما ينسون كل عظمة أخرى لعمر لاستغراقهم فى رصد هذه الشكليات وينسون أن مافعله كان يناسب زمانه أشد المناسبة وأروع الملائمة .. يقول العقاد :

عدل عمر نخسره ، لأنه كان يقضى فيه بغير (استمارة) مدموغة ينص عليها قانون المرافعات ! أو لأنه كان يقضى فيه على غير (الإجراءات العصرية) فى مواجهة الحقوق الشخصية ! او لأنه كان يقضى فيه قضاء يختلف الفقهاء فى عنوانه وفى الرف الذى يضعونه عليه بين رفوف الأضابير !

يا لها من حماقة تخجل العصر الحديث ! تخجله وهو واقف بين العصور يتطاول عليها بتسخيف الحماقات وإدحاض الخرافات .

رد شبهات حول الفاروق رضى الله عنه :

هل كان عمر محدود التفكير ؟

ظن بعض المستشرقين فى عمر محدودية التفكير ، وضيق الأفق ، ولعلهم ظنوا هذا الظن السوء لما كان فى عمر رضى الله عنه من حدة وشدة فى الحق قد توحى بأنه لا سبيل إلى علاجها ، وأنها كالطبع يُفرض على صاحبه فرضاً .

والحق أن مضاء عزيمة عمر واندفاعه إلى الحق لا يُنظر إليه على أنه ضيق فى الأفق ، أو مجاراة للطبع الغالب ، ولكنها تدل – بالعكس – على أن عمر كان يرى نفسه قادراً على اختراق العقبات ، عالم أنها تنثنى إليه حيث كان دون أن ينثنى إليها حيث كانت .

إن عمر رضى الله عنه كان ألمعياً ذكياً ، يعرف خبايا النفوس ، ويكثر المشاورة للكبار والصغار والرجال والنساء ، والذكى من يستشير لأنه يعلم أن وجوه الآراء تتعدد ، وزوايا النظر تختلف من شخص لآخر .

وقد وصف نفسه فقال : لست بالخب ، ولكن الخب لا يخدعنى .

وكيف يكون محدود التفكير من تفرد إلى أمور جرت عليها الأمة من بعده إلى يوم الناس هذا ، كاتخاذه هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم تأريخاً للمسلمين ، وتسييره للقواد ، وإرساله للجيوش ، وفتحه للبلدان ، وسياسته للشعوب المختلفة ، ورياضته لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير خلق الله بعد الأنبياء .

بل كيف يكون محدود التفكير من وافق القرآن فى أكثر من موضع .

ولعل قوة عمر الملحوظة ، وكونه ملهماً يلقى الله الحق فى كلامه ، قد خيل لبعض المستشرقين أن عمر لم يكن يكدّ ذهنه ، أو يجهد تفكيره ، والواقع أنه ليس مطلوباً من عمر رضى الله عنه أن يكون فيلسوفاً أو صاحب نظريات فى المنطق والسياسة والاقتصاد وعلم النفس والاجتماع ، ولا نحكم عليه بكونه قادراً على صياغة الفروض والترجيح بينها ، فهذا شأن الفارغين أصحاب الكلام المجرد عن العمل ، أما المؤمنين المتقين فهم إذا عزموا توكلوا على الله ففعلوا كما كان شأن عمر رضى الله عنه .

وفى الجملة فإن عمر كان شديداً ولم يكن غشيماً ، كان جسوراً ولم يكن جهولاً ، كان مقداماً جريئاً هصوراً ولم يكن متهوراً مندفعاً غضوباً ، قد امتزجت شدته بتقواه

، ولئن خيفت بوادر غضبه فإنما يؤمن عقباه ، وقد يضاق به ولكن لا سبيل إلى شكواه .. رضى الله عنه وأرضاه .

ثم إن القوة مع العلم تفضى إلى الخير والعدل ، والقوة مع الجهل والغباء تفضى إلى الشر والظلم ، وقوة عمر كانت من النوع الأول لأنها اقترنت بفطنته وحنكته .

ثم إن المؤمن عامة يرى بنور الله وله فراسة ليست لغيره ، وهو يحسب أمر الدنيا حساباً صحيحاً ، وينظر فى ضوء القواعد العامة والسنن الحاكمة ، ويكفيه أنه يعرف غاية خلق الدنيا ، ووظيفة الإنسان فيها .. وبالتالى ، فالمؤمن له حدسه المستمد من إيمانه ، هذا الحدس الذى لا يؤتاه غيره .. وفى ضوء هذا الحدس قال يوسف (**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) مشيراً إلى أن (النظرة المستقبلية) بعد ارتكاب الفاحشة لا تبشر بخير **!!** ، وقال الذين أوتوا العلم (**وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّـهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**) مشيرين إلى أن العبرة ليست بما هو كائن من ضخامة ثروات قارون بل بما سوف تؤول إليه فى القريب العاجل ، وقال مؤمن آل فرعون (**فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّـهِ إِن جَاءَنَا**) مشيراً إلى أن القوة البشرية الدنيوية لا ترجح مع البأس الإلهى العظيم ، وقال موسى (**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**) مشيراً إلى أنه سينتصر على فرعون رغم وجود البحر أمامه والجنود خلفه ، و(**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّـهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّـهِ وَاللَّـهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) مشيرين إلى أن القوة المعنوية المستمدة من الإيمان أعظم من القوة المادية والعدد والعتاد ، وفى كل الشواهد السابقة نجد أن المؤمن قادر على (التنبؤ) بالمستقبل وفقاً لمعطيات إيمانية .. ولذلك يخلو عمل المؤمن من العبث ويمتاز عمله بالقصد والنفاذ للغاية من أقرب وأقصر طريق ، ولذلك فلا تفاضل بين المؤمنين إلا فى وسطهم ، وهم فى الجملة خير من سواهم ، ولهم أن يُقيموا ويصدروا الأحكام على غيرهم وليس لغيرهم أن يقيمهم ؛ لأنه لا حكم لجاهل على عالم ، ولا لناقص على كامل أو قريب من الكمال ، ولا لمن يتكلم بالظنون على من آتاه الله اليقين (**وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**) .

موقف عمر من غير المسلمين ..

أصاب عدل عمر حتى غير المسلمين ، وإنك ترى فى سيرته العجب من إنصافه لغير المسلمين .

وأشهر ما يدل على ذلك عهده لأهل إيلياء ، بل رفضه أن يصلى – لما حان وقت الصلاة – فى صحن كنيسة القيامة مخافة أن يأتى المسلمون بعد ذلك ويستحوذون عليها بحجة أن أمير المؤمنين صلّى فيها .

ولعل الخليفة الراشد لجأ بحكم رعايته لمصالح المسلمين إلى بعض الإجراءات التى قد يفهم منها ظلمه لأهل الكتاب ، وما هى إلا صادرة منه عن حكمة وغاية .

ومن ذلك منعه استعمال أهل الكتاب لأنهم يستحلون الرشا ، وهى محرمة .

ومنعه أن يتشبهوا بزى المسلمين لأن غالب المسلمين أيام ذاك جنود ، وأى دولة تحرص ألا يتزيا غير الجنود بأزياء الجنود وترى ذلك من المحظورات التى يعاقب عليها ، ولخشية اتخاذ ذلك ذريعة للتسلل إلى صفوف المسلمين وإحداث الوقيعة والكيد فيهم .

وأما إجلاء بعض أهل الكتاب من الجزيرة العربية فلغدر حدث منهم كما وقع من أهل خيبر ، ولأن منهم من طلب الجلاء لأنهم نقضوا العهد كأهل نجران الذين صالحهم النبى صلى الله عليه وسلم على أن يبقوا فى مساكنهم ولا يأكلوا الربا فخالفوا هذا الشرط .

ثم إن الجزيرة حرم الإسلام فلا يستغرب من عمر ما فعل ، وخاصة أنه صالح أهل إيلياء على أن يحفظ بيت المقدس للمسيحيين .

بل كان وصاة عمر قبل موته بالذميين مشهورة خالدة فى التاريخ أن يوفى بعهدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم .

وما من دولة قديمة أو حديثة احتاطت كما احتاط عمر فى عدم ظلم غير المسلمين ورعاية مصالحهم كما يفرض ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

بل لم نقرأ فى تاريخ تلك الدول إلا الظلم المحض والقسوة المفرطة فى التعامل مع المخالف فى المعتقد .

درة عمر المظلومة !!

قد تصور لنا القصص المروية عن عمر رضى الله عنه أن الدرة كانت فى يده ليس له شاغل إلا أن يضرب بها الناس !! وإليك هذه القصة التى تبين كيف كان عمر يستعمل هذه الدرة المظلومة :

مر عمر فى سوق المدينة فرأى إياس بن سلمة معترضاً فى طريق ضيق ، فخفقه بالدرة ، وقال له : أمط (أى تنح وأفسح) عن الطريق يا بن سلمة .

ثم دار الحول ولقيه فى السوق فسأله : أردت الحج هذا العام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأخذ بيده حتى دخل البيت وأعطاه ستمائة درهم وقال له : يابن سلمة ! استعن بهذه ، واعلم أنها الخفقة التى خفقتك بها عام أول ! قال إياس : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها ، فأجابه عمر : أنا والله ما نسيتها .

هل أحرق عمر رضى الله عنه مكتبة الإسكندرية ؟!

هذه من الشبهات التى تثار على أمير المؤمنين رضى الله عنه ، وهى فرية مختلقة لا أساس لها .

وكان ممن أنكر الحادثة : المؤرخ الإنجليزى الكبير إدوارد جيبون ، وشك فيها ، وكذلك البطريق يوتيخيوس الذى توسع فى الكتابة عن فتح الإسكندرية .

ولقد أنكر الحادثة أيضاً الدكتور ألفرد بلتر المؤرخ الإنجليزى لعدة أسباب :

أولاً : لأن حنا فلبيوتوس الذى قيل أنه خاطب عمرو ابن العاص فى أمر المكتبة لم يكن حياً فى أيام فتح العرب لمصر .

ثانياً : ولأن كثيراً من كتب القرن السابع كانت من الرّق ، وهو لا يصلح للوقود لأنه جلد رقيق .

ثالثاً : ثم ما الحكمة فى عدم إحراقها فى مكانها ، وأخذها للحمامات مع ما فى ذلك من مشقة ؟!

رابعاً : ثم هناك شك فى القصة من حيث أنه يقال أنها وزعت على أربعة آلاف حمام ولم تنفد خلال ستة أشهر .. فإن عدد الكتب لم يكن ليصل إلى هذه الكمية .

خامساً : ثم إن هذه الحادثة تأخرت كتابتها زهاء خمسة قرون ونصف بعد فتح الإسكندرية ، ثم كتبت بعد ذلك خلواً من المصادر والأسانيد .

سادساً : هذا عدا ما قيل من احتراق المكتبة فى السنة الثامنة والأربعين للميلاد ، وفيما تلا ذلك من الفتن والقلاقل بين طوائف المسيحيين .

أما المستشرق كازانوفا فيسمى الحكاية أسطورة ، لذات الأسباب التى لاحظها الدكتور بتلر .

وعلى افتراض صدق رواية إحراق عمر لمكتبة الإسكندرية .. فلنا أن نتساءل : ما هى الوصمة التى تلحقه من هذا الأمر ؟ وما الضرورة فى استبقاء المكتبة ، وعدم إعدام كتبها ؟ ولماذا كان ينبغى عليه رضى الله عنه أن يكون على يقين أنها شئ مفيد للمسلمين ولغيرهم من الأمم ، وأنها ذخيرة من ذخائر العالم لا يجوز التفريط فيها ؟

إن إحراق عمر لمكتبة الإسكندرية لا يشينه ، وليس هو بالشئ المضرّ للأسباب التالية :

أولاً : ما الذى يضر العالم من انعدام آثار الفلسفة اليونانية ، والتى يظن أن هذه الكتب كانت نسبة كبيرة منها فى هذا المجال ؟ ثم لو كانت هذه الآثار مهمة إلى هذه الدرجة ، لماذا لم يحتفظ بها قومها ؟

ثانياً : إن أحوال الروم والقبط فى ذلك العهد لم يكن فيها دليل واحد على أنهم يحتفظون بمعرفة نفيسة ، يضر العلم فقدانها وانعدامها ، ولم تفدهم هذه الكتب فى إصلاح حالهم ، وتقويم اعوجاجهم .

ثالثاً : إن الذى يعيب الإنسان حقاً أن يكون عدواً للمعرفة على إطلاقها (كما كان من شأن التتار المغول) وهيهات أن يكون عمر كذلك ، كيف وهو الذى أمر بتدوين الدواوين واستيراد كل نافع نشأ فى غير البيئة العربية الإسلامية ؟ ولم يكن ينهى عن علم شئ إلا أن تكون فيه فتنة أو ضلال .

رابعاً : ولا شك أن عمر – لو صدق منه ذلك – كان يؤثر أن يقبل المسلمون على دراسة القرآن ، وأن يقدموا فهمه على فهم كل كتاب ، وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وكان هذا الكتاب هو سرّ تقدم العرب من أمة هائمة مفككة إلى أمة ساست العالم فى عهد عمر نفسه ، لا شك أن عمر كان يريد أن يحافظ على سير هذا التقدم ، واستبقاء حيويته من خلال تقديم الاهتمام بالقرآن على كل كتاب سواه ؛ لأنه رأى بالتجربة الواقعية الملموسة أفضلية هذا الكتاب على كل كتاب آخر .

إن القرآن الكريم لم ينقض على تداوله فى أيدى المسلمين سنوات ، فإن لم تتقدم دراسته فى هذه الفترة على دراسة غيره ، فمتى تتقدم ؟! ومتى يعطى القرآن حقه من الفقه والوعى والإقبال ؟ وما هى الغنيمة المتوقعة التى قد توجد فى كتب سوى القرآن مما يمكن أن تعدل الغنيمة الكبرى التى اكتسبها المسلمون من كتابهم ، أو

تعدل حتى قليلاً منها ؟! إن عمر رضى الله عنه لم يوازن سوى بين معرفة ظاهرة النفع عظيمة الأثر ، ومعرفة مجهولة لم ير أمامه من قد انتفع بها مثلما انتفع المسلمون من كتابهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

قضايا متنوعة مهمة فى خلافة الفاروق رضى الله عنه ..

هل كان من المناسب أن يتولى عمر الخلافة قبل الصديق ؟!

يقول العقاد فى تبيان سبب تولى أبى بكر الخلافة قبل عمر "بتصرف" : كان أبو بكر يمثل اللين والرحمة وكان عمر يمثل الشدة والقوة ، فإذا تأزمت واضطربت ونفدت حيلة اللين حتى نبذه أبو بكر فى رفقه وهوادته فذلك إذن موطن الإجماع ، وإذا صلب غيره واجتمعت كلمتهم على الصلابة ولم يبق من يلين فى الأمر سواه ، فصلابتهم أقمن إذن أن تنعطف بلينه إلى الإجماع الذى لا شذوذ فيه .

ويلفت العقاد النظر أيضاً إلى أن الموازنة ليست موازنة بين أشخاص ، ولكنها موازنة بين أحوال ، ثم تقديماً للصالح فى تلك الأحوال ، أو هو تأخير موعد ومناسبة ، وليس بتأخير حق وكفاءة ، فأبو بكر وعمر كلاهما كفء للخلافة ، لكن تقديم أبى بكر أصلح وأولى وأوفق لأحوال الزمن ولكرامة الصحابة والمسلمين أجمعين .

ويقول العقاد : وإنك لتكونن على ثقة من حقيقة واحدة فى رهط محمد تجزم بها وأنت آمن أن تخالف التاريخ فيما بطن وفيما ظهر .. وذلك أنه عليه السلام لم يبرم قط أمراً فيه غضاضة على أحد من أصحابه ، ولا سيما فى مسألة الاستخلاف أو التقديم للإمامة والصلاة بالناس فكل الذى حدث فيها فهو الذى يجمل بالنبى من تقدير وتدبير ، ويجمل بصاحبيه من إيثار وتوقير ، ويجمل بالإسلام من تمكين وتعمير ، وانتفاع بعمل كل عامل واقتدار كل قدير .

موقف عمر من آل البيت ..

كل الروايات على أن عمر كان على غاية الوفاء المحض لذكرى النبى عليه الصلاة والسلام فى آله وخاصة بيته والأمانة لمصلحة العرب والإسلام مقدمة على كل مصلحة خاصة أو عامة وكل ما عدا ذلك لغو وباطل .

بل كان عمر يفضل آل النبى فى اللقاء والحفاوة حتى على ابنه عبد الله ؛ فكان فى بعض الأيام قد أرسل للحسين بن على رضى الله عنهما فذهب إليه ولقى عبد الله بن عمر فى الطريق راجعاً من عند والده بعد أن لم يأذن له فرجع الحسين ، فلما سمع عمر بذلك ، قال للحسين: وأنت عندى مثله ؟! وحدث أن كسا عمر أصحاب النبى فلم يكن فى الأكسية ما يصلح للحسن والحسين رضى الله عنهما فبعث إلى اليمن فأتى لهما بكسوة تصلح لهما .

وكان على رضى الله عنه من خاصة بطانة عمر وكان كثيراً ما يستفتيه عمر ويرجع إليه .

وكذلك كان يفعل عمر مع ابن عباس رضى الله عنهما ، وكان يُسأل فى الأمر وابن عباس حاضر فيقول مشيراً إليه : عليكم بالخبير بها .

ولم يولهم الولايات كما فعل ذلك مع جل الصحابة ورؤوس قريش لأنه استبقاهم جواره للمشورة وصانهم عن المحاسبة والمعاتبة .

ويزعم الزاعمون أن عمر حال بين على وبين توليته الخلافة التى كان سيعهد إليه بها النبى صلى الله عليه وسلم حين دعا بكتاب يكتب فيه للمسلمين ما لن يضلوا به بعده أبداً ، فزعموا أنه كان سيكتب إلى على بتولى الأمر من بعده .

وهذا رأى سخيف ، فلو كان من نية النبى صلى الله عليه وسلم أن يعهد بالأمر إلى على رضى الله عنه لكفاه فى ذلك كلمة تقال أو إشارة يفهم منها الناس تقديم على كإشارته إلى أبى بكر أن يصلى بالناس .

ثم إن النبى عاش بعد ذلك ولم يكرر طلبه ، ولقد كانت سنته صلوات الله وسلامه عليه أن ينأى بآله عن الولاية ، وكان يمنع وراثة الأنبياء .

موقف عمر من الصحابة ، وموقف الصحابة منه ..

بلغ من شأن عمر عند الصحابة أنه بايع أبا بكر فبطل كل خلاف إلا ما لا خطر فيه ، ثم بويع هو فاجتمعت عليه الكلمة .

وكان رضى الله عنه هو أول من مدّ يده مبايعاً لأبى بكر ، وبايع بعده جلّة الصحابة رضى الله عنهم . وهوالذى قال بين يدى أبى بكر : إن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وأولى الناس بأموركم ، فقوموا فبايعوا .

وكان رأيه عندما اقترح أبو بكر أن يبايع لعمر بحجة أنه أقوى ، كان رأى عمر أن قوته لأبى بكر مع فضل أبى بكر عليه ولا ينبغى لأحد أن يكون فوقه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا كان فضل أبى بكر وقوة عمر جمعاً لا يشذ عنه أحد ، ومن شذّ عنه فما له من فضل ولا من قوة ينفعانه .

وفى خلافته حرص عمر على أن يجمع من الصحابة مجلساً للمشورة لا يبرم أمراً إلا بعد الاستئناس برأيهم لعلمهم بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد جنبهم الولاية ، وبذلك سبق الدساتير العصرية ، فالصحابة مجلس الأمة ، وليس لأحد من مجلس الأمة أن يلى عملاً من أعمال الحكومة .

وكان الصحابة يجلونه ويعظمونه .. بكى على رضى الله عنه يوم موت الفاروق ، وقال : أبكى على موت عمر ، إن موته ثلمة (خلل) فى الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة . وقال عبد الله بن مسعود : كان إسلامه فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة .

وقال معاوية موازناً بين الخلفاء : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن .

وقال عمرو بن العاص : لله دره .. أى امرئ كان !!

وكان عمر خير الصحابة فى خلافته ، ولذلك فقد كان – لسبقه وقوته – قادراً على أشياء لم يطقها غيره ؛ فهو الذى يأذن لصهيب وبلال قبل أبى سفيان ، وسهيل بن عمرو ، وهو الذى يعزل خالد بن الوليد سيف الإسلام وبطل الجزيرة والشام .

خواطرى حول الكتاب ..

سر عدم وجود فتن فى عهد الفاروق عمر رضى الله عنه ..

تعاشب كتاب
الكتب بقى ليها طعم تانى

أعتقد أن السر فى عدم وجود الفتن فى عهد الفاروق يرجع إلى سمة عظيمة جداً كان عمر رضى الله عنه يتميز بها ؛ وهى – بعد توفيق الله تعالى وإلهامه – الدقة البالغة والتنظيم المدهش الذى وصل إلى افتراض الاحتمالات المختلفة التى تحول دون تحقيق هدف معين ، وهذا الأمر يدل على عبقرية التخطيط عند الفاروق ، فإن الإنسان إذا وضع نصب عينيه هدفاً معيناً ، فإنه يحدد الوسائل اللازمة لتحقيقه ، ولكن ينبغى عليه أن يفترض أن الوسائل الموضوعة لتحقيق هدفه قد تعجز ، وعندها لابد أن يطرح وسائل بديلة ، وهذا ما برع فيه عمر رضى الله عنه ، وها هى بعض الشواهد على ذلك :

<u>أولاً :</u> وضعه وسائل عديدة لمراقبة العمال والولاة ، لسد كل ثغرة ممكنة ، ولإحكام الرقابة على الولاة كما رأينا .

<u>ثانياً :</u> رفضه أن يصلى – لما حان وقت الصلاة – فى صحن كنيسة القيامة مخافة أن يأتى المسلمون بعد ذلك ويستحوذون عليها بحجة أن أمير المؤمنين صلّى فيها .

<u>ثالثاً :</u> فى الدين الذى كان على عمر رضى الله عنه ، قال لابنه عند طعنه : إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فاسأل فيه بنى عدى ، فإن لم تف أموالهم فاسأل فيه قريشاً ولا تعدهم إلى غيرهم .

<u>رابعاً :</u> تعيينه لستّ نفر تدور الشورى بينهم لاختيار الخليفة بعده ، ووصيته أنه إن خرج رجل على الجمع يقتل ، وإن خرج رجلان يقتلان ، وإن استوى ثلاثة أمام ثلاثة يحكم عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا بحكمه يتم اختيار الفريق الذى فيه عبد الرحمن بن عوف .

<u>خامساً :</u> وصيته لابنه عبد الله أن يستوثق من أم المؤمنين بسؤالها مرة ثانية بعد وفاته خشية أن تكون موافقتها حياءً منه ، وذلك فى مسألة استئذانها فى دفنه بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنه .

من هذه الشواهد القليلة يتبين لنا حرص الفاروق الشديد ، ودقته البالغة ، فى تحقيق ما يصبو إليه وإصراره على تحقيقه ، ولعل هذه الدقة الشديدة التى تدل على إصرار بالغ وقوة عظيمة فى افتراض شتى الاحتمالات هى السر وراء شكوى عمر من جلد الفاجر وعجز الثقة ، ولعل عجز الثقة عنده ألا يكون مثل ما كان هو .. وهكذا العباقرة يقيسون الناس على أنفسهم غافلين عن أن ليس كل الناس مثلهم .

فالقوة المطلوبة التى يشكو عمر أنها لم تتوافر فى الثقة أحياناً هى : اللاتردد ، والقدرة البالغة على التنفيذ وتقرير الحق ، وعدم الميل مع الهوى ، وهذه الصفات الثلاث ليس بالضرورة أن تجتمع معاً ، كما يشكو عمر أن الفاجر قد توجد فيه هذه الصفات .

وهذا الأمر العظيم الذى كان يميز الفاروق هو ما لم يفعله عثمان رضى الله عنه ؛ إذ كان موقفه من الفتنة أن اكتفى بألا يراق بسببه دم ، ولم ينظر إلى كم الاختلافات الحتمية التى ستنشب بسبب مقتله ؛ فهو قد سلم بأن يقتل وصبر على ذلك ، ولكنه لم يضع استراتيجية للمسلمين يسيرون عليها ، لتمكينهم من التغلب على أمر مقتله وهو من الأحداث الهائلة فى حياة المسلمين وآثاره لا زالت موجودة حتى الآن .

فى حين أن عمر رضى الله عنه وضع خطة لاختيار الخليفة من بعده ، رغم أن الخلافات التى ربما كانت ستنشب – لو لم يضعها – أقل بكثير من الخلافات بعد مقتل عثمان رضى الله عنه .

فائدة جليلة خرجت بها من الاطلاع على سيرة عمر رضى الله عنه ..

التغلغل فى دراسة شخصيات عبقرية كالفاروق غير أنه يزيدنا حباً لها وإعجاباً بها ، إلا أنه يقطع كل أمل لنا فى اللحاق بهم !! إن الأمر عندهم لم يكن مجرد إيمان بالله وتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم والجهاد معه ، بل بروزاً فى كل ما سبق ، وعبقرية فائقة فى الخبرات الدنيوية لا توجد إلا فى الأفذاذ من البشر .. ولذلك ، فينبغى ألا ينقطع لساننا عن الدعاء بـ : اللهم احشرنا مع الصالحين واجمعنا بالأحبة محمد وصحبه واحشرنا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .. لعل هذا الدعاء يبلغنا قريباً من منازلهم ، أما العمل فلا طاقة لنا بما بلغوه .

ما أختلف مع العقاد فيه ..

اختلفت مع الكاتب فى نقطتين صغيرتين هما :

أولاً : أختلف معه فى قوله : على أن عمر كان يرحم فى أمور يحول فيها النفور الدينى دون الرحمة عند كثيرين ؛ ويضرب مثلاً بالضرير اليهودى ، الذى فرض له عمر رضى الله عنها حصة من بيت المال ، وبأنه فرض لكل لقيط 100 درهم مثل غيره من المواليد . والحقيقة أن النفور لا علاقة له بالرحمة عند المنصفين على الأقل ، ولكن النفور يؤثر على المحبة أو الكراهية ؛ فأنت تنفر من إنسان وتتحاشاه وقد تكرهه ، ولكن لا تظلمه ولا يمنعك هذا من تقديم مساعدة يحتاجها ؛ هذا إن كنت من الأسوياء المنصفين ، ثم إن ما استشهد به العقاد هو حكم الشرع وليس حكم عمر رضى الله عنه .

ثانياً : يحاول العقاد أن يفسر شخصية عمر فى غير ظل الإسلام فى بعض الأحيان .. يقول مثلاً : غيرته على السياسة العربية فى صد الغرباء عن جزيرة العرب ، وغيرته على الزى العربى ، والشمائل العربية .. وإن كان أوضح بعد ذلك أن غيرته لم تكن إلا لحق .

بل وتجد العقاد يمعن فى ذكر تفاصيل عبقرية الشخصية التى يتناولها مما يذهل القارئ عن عظمة الإسلام الذى لولاه لما كان للعرب ذكر ، وصدق الفاروق إذ يقول : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله .

خصائص أسلوب العقاد ..

كان هذا الكتاب هو أول كتاب أقرؤه كاملاً للعقاد رحمه الله ، وقد خرجت من قراءتى له بخصائص أساسية فى أسلوب العقاد رأيتها تتكرر فى أكثر من موضع بالكتاب ، وها هى بعض هذه الخصائص :

أولاً : مما يميز أسلوب العقاد أنه يميل كثيراً إلى التشريح الدقيق من أجل توضيح وكشف ما يتناوله بحيث لم يبق منه غامض أو مبهم .

وقد يغوص ويغوص حتى يصل إلى القاع فلا يخرج بشئ كثير ، وبالتالى نجد أنه كثيراً ما يوضح الواضحات ويفسرها ويزيد فى شرحها وإيراد الأدلة والشواهد عليها .

وإذا أردت إثبات ذلك ، فاقرأ فصل (إسلامه) ستجده كتب عن عمر رضى الله عنه ما لم يختص به عمر وحده ، وإنما يشاركه فيه كثير من العرب فى عهده ، ويحاول إيراد أسباب إسلامه ، فتجدها كلها أسباباً عامة أسلم لأجلها الكثير غير الفاروق رضى الله عنه ، ونجد أنه رغم توافر هذه الأسباب أيضاً عند الكثير من العرب إلا أنهم لم يسلموا .

فقد ذكر مثلاً أن عمر أخذ ببلاغة القرآن ، والوليد بن المغيرة أخذ كذلك ببلاغته ولم يسلم .

وذكر أن عمر كان يكره المنكر الذى كان يشيع فى الجاهلية ، وكذلك كان أمية بن أبى الصلت .

وذكر أن من عمومة عمر (وهو زيد بن عمرو بن نفيل) مَن كان من الحنفاء فى الجاهلية ، وكذلك كان غيره مثل ورقة بن نوفل وقس بن ساعدة فهذا مما لا يختص به عمر .

إن أى قارىء لكتابات العقاد يلحظ أنه يكثر من تشريح وتفسير الحوادث واستخراج دلائلها الباطنة فضلاً عن الظاهرة ، ومحاولة استجلاء ما يخفى على الكثيرين ، وفى هذا الصدد يأتى العقاد بكنوز أدبية وبلاغية وتحليلية عميقة فى سياق الموضوع الذى يتحدث فيه ، ولكنه يسترسل مع مقدرته البيانية ، فيأخذ فى بعض الأحيان فى تفسير ما لا يحتاج إلى تفسير ، وشرح ما هو غنى عن الشرح والتفصيل .

وقد يجهد القارئ ذهنه ولبه فى محاولة فهم ما يقوله العقاد ، فيجد أن كلمة أو كلمتين تغنيان عن فقرة أو فقرتين ، وإن لم تكن ستخرج بجديد فى المعنى ، فستخرج بمتعة بالغة فى العرض والبيان بأسلوب العقاد الذى يأخذ بالنفوس والألباب .

مصداق ما سبق فى فصل (عمر والصحابة) الذى ابتدأه بقوله :

بايع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه .

وبويع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه .

ثم يذكر الكاتب إكبار الصحابة لعمر ، ثم يقول كلاماً يلخص فى العبارتين السابقتين .. نراه يستطرد فيقول :

بايع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه .

وبويع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه .

وقد تواترت أقوال الصحابة فى عمر بما يشيد بفضله ويشهد بقدره ويكبر فى أعين الناس أكبر من تقال فيه . لأن الذين قالوها أناس لهم حلوم راجحة ، وألسنة صادقة ، وعقيدة راسخة ، وقلوب لا تهاب أن تقول الحق فى إنسان .

ولكن الشهادتين اللتين شهد بهما الواقع أدل على قدر عمر بين الصحابة من كل ما قيل . (إشارة إلى العبارتين السابقتين)

لأن شهادة الواقع هى الشهادة التى يقولها الصادق باختياره ويحاول الكاذب أن يكذب فيها فلا يستطيع ، وإنما يجوز الصدق والكذب فيما يملكه اللسان أو يملكه الشعور، أما الشهادة التى تعبر عن نفسها بلغة الواقع فهى قائمة من وراء كلام الألسنة ومن وراء هوى النفوس : إنكارها كإنكار المحسوس الذى تقع عليه الأيدى ولا تغمض عنه العيون .

وهكذا نجد أن استطرادات العقاد تفسيرية تحليلية توضيحية ، ولا يشترط أن يكون ما قبلها مبهماً بحاجة إلى تفسير وتوضيح .

وهذا شاهد آخر .. يتحدث فيه العقاد عن قول أم أبان بنت عتبة بن ربيعة التى لم تقبل بعمر حين تقدم إليها خاطباً ، حيث قالت : إنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه ، كأنه ينظر إلى ربه بعينه.

ويقول العقاد معلقاً :

والذى نعنيه من الوصف هو قولها عن مخافة الله أنه كان يخافه كأنه يراه بعينه .

فهو فى الحق أصدق وصف لإيمان هذا الرجل المتفرد بإيمانه كما تفرد بكثير من شئونه . إنه تجاوز حد الإيمان إلى حد الرؤية والعيان ، وحقق مبالغات أبى الطيب المتنبى حين وصف الغاية القصوى من الشجاعة والحكمة فقال :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

ومهما يكن من إيمان بالغيب فهو لا يبلغ فى اليقين والحضور مبلغ الرؤية بالعين ، وهى قولة عابرة من قائلة أصابت ما لم يصبه قائل ، ولعلها لا تدرى مدى صوابها .

وهذا استطراد آخر من استطرادات العقاد لا فائدة كبيرة فيه ، ثم إن الذى قالته أم أبان لعله مستوحى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تعبد الله كأنك تراه ، فهى مقولة لم تسبق إليها ، ثم إن العرب عموماً تجرى الحكمة على ألسنتهم ، وفى كلامهم العابر ، فلا داعى للغلو فى مدى قيمة مقولة أم أبان .

ولكن الوجه الآخر للعملة أن استطرادات العقاد قد تكون مفيدة كما فى حالة افتراضه أن عمر أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية وردوده على ذلك .. فمن سمات الاستطراد كثرة الافتراضات والاحتمالات .

وإن كان من فائدة هذه الاستطرادات تثبيت المعلومة وتأكيدها لدى القارئ وبسطها أمامه .

ثانياً : من الواضح أن كثرة ملازمة سيد قطب للعقاد جعلته يقتبس منه بعض ملامح أسلوبه ، ومما هو شاهد على ذلك أنه فى صـ73 عندما يتحدث العقاد فى فصل (إسلامه) عن قدرة الإسلام على إعادة صياغة النفوس ، تقرأ كلاماً كأنه لسيد قطب

، وذلك من قوله : .. صفحة يقرأ فيها القارئ قبل كل شئ ماذا يصنع الإسلام بالنفوس .. ، والشاهد أن سيداً هو من تأثر بالعقاد لأنه كان تلميذاً له .

ثالثاً : يكثر من السجع فى نهاية الفقرات ، كما يظهر ذلك فى الفقرة التالية :

يقول العقاد : وإنك لتكونن على ثقة من حقيقة واحدة فى رهط محمد تجزم بها وأنت آمن أن تخالف التاريخ فيما بطن وفيما ظهر .. وذلك أنه عليه السلام لم يبرم قط أمراً فيه غضاضة على أحد من أصحابه ، ولا سيما فى مسألة الاستخلاف أو التقديم للإمامة والصلاة بالناس **فكل الذى حدث فيها فهو الذى يجمل بالنبى من تقدير وتدبير ، ويجمل بصاحبيه من إيثار وتوقير ، ويجمل بالإسلام من تمكين وتعمير ، وانتفاع بعمل كل عامل ، واقتدار كل قدير .**

وبهذا نكون قد انتهينا من استعراض هذا الكتاب الرائع ، فرضى الله عن الفاروق وأرضاه ، ورحم الله كاتبنا الكبير عباس محمود العقاد الذى أوصيك بشدة عزيزى القارىء بقراءة ما تطاله يدك من كتبه ، فستعشق أسلوبه وتعبيراته ، وقوة حججه وبيانه ، وسيصبح من كتابك المفضلين بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لو أعجبك هذا التلخيص ، فيمكنك أن تدعمنا على باترون على الرابط أدناه لدعم عمل المزيد من تلخيصات الكتب النافعة ..

https://www.patreon.com/user?u=10623697

رابط صفحتنا على الفيسبوك :

/https://www.facebook.com/t3anshabketab

رابط موقع تعانشب كتاب :

/http://t3anshab.com

للتواصل معنا :

atito@t3anshab.com

مع تحيات / محمد عطيتو

مع تعانشب كتاب .. الكتب بقى ليها طعم تانى !!